سلسلة تفريغات شبكة بينونة

سمات طالب العلم

الشيخ
يوسف بن حسن الحمادي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE
@Baynoona

من هنا باقي التفريغات

قام به فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغا لمحاضرة

بعنوان

سمات طالب العلم

للشيخ :

يوسف بن حسن الحمادي

-حفظه الله-

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه **ونستغفره** ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله **أما بعد:**

فيا أيها الإخوة الأفاضل إن من أسباب محبة الله تبارك وتعالى ودواعي الدخول في رضاه وحسن الصلة به جل وعلا، أن يوفق الإنسان لحضور هذه اللقاءات، وأن يُعان على زيارة إخوانه في الله ﷻ، وأن يتواصل معهم و يتناصح معهم في الله جل وعلا، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه باسناد صحيح من حديث عبادة ابن الصامت ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: حقت محبتي للمتحابين في، وحقت محبتي للمتواصلين في، وحقت محبتي للمتناصحين في، وحقت محبتي للمتزاورين في» [1] .

فهذه صفاتٌ جليلة، ونعوتٌ كريمة، بالاتصاف بها يحقق المرء محبة الله تبارك وتعالى له إن هو أخلص لله ﷻ بالقيام بهذه الأعمال.

فالتحاب في الله، والتواصل في الله، والتناصح في الله، والتزاور في الله، كل هذا من أسباب محبة الله ﷻ لعبده، وهذا حقٌ ألزم الله تبارك به نفسه، وأوجبه على ذاته الكريمة سبحانه وتعالى.

ثم بعد ذلك أيها الإخوة انطلاقًا من هذا الحديث الكريم، والنص الشريف، كانت هذه الجلسة التي نسأل الله ﷻ أن تكون فيه، ولأجله، واختير أن يكون عنوانها سمات طالب العلم، وأنا أقول من (سمات طالب العلم) لأننا لن نأتي إلا على شيءٍ يسيرٍ منها نتناصح من خلالها بإذن الله جل وعلا .

فأقول أيها الإخوة إن من فضل الله تبارك وتعالى على عبده وإحسانه إليه أن يُوفق لطلب العلم وأن يُدَل على هذا الطريق السديد، فإن بالعلم يَحيّ قلب العبد، ويتنورَ بنور الله ﷻ ويطيب عيشه ويهنأ بالُه، وتهدء نفسه.

---

(1)- رواه أحمد (5/ 236)(22117).

قال الله ﷻ :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾ [الأنفال (24)] فلا حياة في الحقيقة للنفس ولا استقرار لها ولا أمن إلا بعلم الكتاب والسنة، ثم العمل بهما قال الله ﷻ:﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ ﴾[النحل (97)].

والعلم أيها الإخوة بابٌ عظيمٌ من أبواب الجهاد في سبيل الله، كما جاء ذلك عند الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه وهو علامةٌ من العلامات العاجلة على إرادة الله ﷻ الخير بعبده في هذه الدنيا.

أيها الإخوة:الناس على مراتب وعلى درجات متفاوتة في هذه الدنيا، وكل مرتبة لها صفاتٌ ونعوت تليق بها وتتلاءم معها، وطالب العلم له صفاتٌ تخصه، ونعوتٌ يتميز بها عن سائر الناس تختص أو تليق بما أكرمه الله تبارك وتعالى به من هذا العلم الشريف؛ علم الكتاب والسنة .

وفي هذه الدقائق إن شاء الله نأتي على بعض الصفات، والنعوت التي يتميز بها طالب العلم عن غيره، وسأقتصر على بعض الصفات التي رأيت أننا بحاجةٍ إليها في الحقيقة، وأن الخلل واقعٌ فيها والتقصير حاصلٌ في كثيرٍ من طلبة العلم، إلا من رحم الله ﷻ فأقول وبالله تبارك وتعالى التوفيق.

إن أسمى العلامات، وأجل الصفات، وأفضل النعوت التي يتميز بها طالب العلم، والتي يجب عليه القيام بها:

إخلاص العمل لله ﷻ: وإخلاص هذه العبادة التي هي التعلم لله تبارك وتعالى فلا يكون الباعث، ولا يكون الدافع إلا طلب مرضاة الله تبارك وتعالى، والتبصر بأحكام دينه ومعرفة مسائل شريعته ﷻ.

والإخلاص أيها الإخوة أعظم نعمة يمن الله ﷻ بها على عبده المؤمن، وخصوصا طالب العلم، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في كلامٍ عظيمٍ له في إعلام الموقعين يقول رحمه الله: (صِحَّةُ الْفَهْمِ – وتأملوا كلامه –وَحُسْنُ الْقَصْدِ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَى عَبْدِهِ، بَلْ مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ عَطَاءً بَعْدَ الْإِسْلَامِ أَفْضَلَ وَلَا أَجَلَّ مِنْهُمَا، بَلْ هُمَا– يعني حسن الفهم وحسن القصد– بَلْ هُمَا سَاقَا الْإِسْلَامِ، وَقِيَامُهُ عَلَيْهِمَا، وَبِهِمَا يَأْمَنُ الْعَبْدُ طَرِيقَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ الَّذِينَ فَسَدَ قَصْدُهُمْ وَطَرِيقَ

الضَّالِّينَ الَّذِينَ فَسَدَتْ فُهُومُهُمْ، وَيَصِير ممن أنعم عليهم من الصديقين والشهداء والصالحين الَّذِينَ حَسُنَتْ أَفْهَامُهُمْ وَقُصُودُهُمْ)[1]

ولا يخفى على الحضور أنه لا اعتبار للأعمال بما فيها طلب العلم، ولا وزنا، ولا قيام إلا بصحة القصد، وسلامة الإرادة، كما روى ذلك الإمام النسائي في سننه من حديث أبي أمامة الباهلي بإسنادٍ جيد قال رضي الله عنه: «أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: أرأيْتَ رجلًا غَزا يَلْتَمِسُ الأَجْرَ والذِّكْرَماله؟ فقال ﷺ : (لا شَيْءَ لهُ) فأعاد السؤال ثانية: أرأيْتَ رجلًا غَزا – الغزو عمل صالح رجلا غزا يلتمس الأجر أي من الله والذكر أي عند الناس يلتمس الأجر والذكر ماله؟– فقال رسولُ اللهِ ﷺ : «لا شَيْءَ لهُ» فأعاد السؤال ثالثةً: أرأيْتَ رجلًا غَزا يَلْتَمِسُ الأَجْرَ والذِّكْرَ ماله؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ : (لا شَيْءَ لهُ) ثم قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ لا يَقْبَلُ مِنَ العَمَلِ إِلّا ما كان لهُ خالِصًا، وابْتُغِيَ بِهِ وجْهُهُ»[2].

والإخلاص إخواني عملٌ قلبيٌ باطني لا يطلع عليه إلا الله ﷻ قد نَبهَنا على ذلك ﷺ بقوله: « إِنَّ اللهَ لا ينظرُ إلى أَجْسامِكُمْ، ولا إلى صُورِكُمْ، ولكنْ ينظرُ إلى قُلوبِكُمْ –وأشار بأصابعه إلى صدره ﷺ – ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[3] هذا هو محل القلب.

فعلى هذا يقال من الحماقة أن يصرف طالب العلم بعد ذلك إرادته وقصده لغير الله ﷻ يقول الإمام الشوكاني رحمه الله:(والرياء هو أضر المعاصي الباطنة وأشرها مع كونه لا فائدة فيه إلا ذهاب أجر العمل، والعقوبة على وقوعه في الطاعة، فلم يذهب به مجرد العمل بل لزم صاحبه مع ذهاب عمله الإثم البالغ)[4].

---

(1)-إعلام الموقعين عن رب العالمين، ص (٦٦).

(2)- أخرجه النسائي (٣١٤٠).

(3)- الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الترغيب(١٥).

(4)- قطر الولي على حديث الولي للشوكاني ص (459).

وبحسب إخواني تحقيق طالب العلم هذا الأصل في قلبه يثبت على طلب العلم، ويُعان على حسن تحصيله، ويُوفق لحسن بيانه، وتبليغه للناس، فالخيرات تأتيه والظفر بما يرضي الله ﷻ يلحقه بحسب إخلاصه وحسن إرادته، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ صاحب فتح المجيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:(ومن علامة إخلاص طالب العلم -تأملوا الثمرات التي سيذكرها- أن يكون صموتا عما لا يعنيه، متذللا لربه، متواضعا لعباده، متورعا متأدبا، لا يبالي ظهر الحق على لسانه أو لسان غيره، ولا ينتصر لنفسه ولا يفتخر، ولا يحقد ولا يحسد، ولا يميل به الهوى، ولا يركن إلى زينة الدنيا)[1].

ثم أيها الإخوة إذا رسخ هذا الأصل في قلب الإنسان وتمكن الإخلاص منه فإنه يشق عليه أن يصرف قلبه وإرادته لغير الله، ويثقل عليه أن يتوجه بقلبه إلى أحدٍ سوى الله ﷻ ،يبين هذا الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيقول:(من عود نفسه العمل لله لم يكن عليه أشق من العمل لغيره. ومن عود نفسه العمل لهواه وحظه لم يكن عليه أشق من الإخلاص العمل لله. وهذا في جميع أبواب الأعمال)[2].

ثم في ختام هذا الأصل أيها الاخوة: إن خير ما يعين على تحقيقه وآداءه بعد التضرع إلى الله ﷻ وسؤاله العون على تحقيقه هو إخفاء الأعمال ما أمكن وإلى هذا العلاج الناجح أرشد ﷺ الأمة بقوله:« من استطاع منكم أنْ يكونَ له خَبءٌ من عملٍ صالحٍ فليفعلْ »[3] - الخبء الشيء الخفي المستور الذي لا يُرى ومنه قيل للمخباء مخباء لماذا؟ لأن الشيئ يستر فيها فلا يرى.

« من استطاع منكم أنْ يكونَ له خبءٌ من عملٍ صالحٍ فليفعلْ »: ولما تفطن أيها الإخوة السلف الصالح لهذا التوجيه النبوي والعلاج النافع لتحقيق هذا الأصل قاموا وتواصوا به وتناصحوا به وقام كل واحدٍ منهم يسعى للقيام به ما أمكن.

---

(1)- الدرر السنية (1/ 405-406).

(2)- عدة الصابرين (59).

(3)-أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٧٦٨)،والخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ١٧٩).

يقول الخريبي رَحِمَهُ اللَّهُ:(كانوا -أي السلف- يستحبون أن يكون للرجل خبيئة من عمل صالح لا تعلم به زوجته ولا غيرها)[1] ، ومن الآثار في هذا يقول بشر بن الحارث رَحِمَهُ اللَّهُ:(لا تعمل لتذكر، اكتم الحسنة كما تكتم السيئة)[2] وقال أبو حازم المديني:(أكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك)[3]وكان أيوب السختياني رَحِمَهُ اللَّهُ يقوم الليل كله فيخفي ذلك هكذا جاء فإذا كان عند الصبح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة[4] ،وكان أبو وائل واسمه شقيق ابن سلمة رَحِمَهُ اللَّهُ أحد أئمة الحديث ورواتهم (كان إذا صلى في بيته ينشج نشيجا-يعني من البكاء- ولو جعلت له الدنيا على أن يفعله وأحد يراه، ما فعله)[5] ،ويقول ابن وهب رَحِمَهُ اللَّهُ:(ما رأيت أحدا أشد استخفاءً بعمله من حيوة ابن شريح)[6].

فهذا أيها الإخوة طرفٌ يسير وإشارةٌ سريعة إلى هدي سلفنا في التعامل مع هذا الأصل العظيم الذي هو أساس كل خير، وانطلاقة إلى كل سبيلٍ يوصل العبد إلى مرضاة الله تبارك وتعالى .

السمة الثانية أيها الإخوة من سمات طالب العلم والتي وقع فيها التقصير من كثير من طلبة العلم إلا من رحم الله ﷻ

السمة الثانية أيها الإخوة:

العمل بالعلم: والعمل كما قيل ثمرة كما أن العلم شجرة، والعمل موروث كما أن العلم وارث، والعلم إنما يُراد لأجل العمل هذا هو مقصد العلم وإرادته، وهذه السمة أيها الإخوة هي في الحقيقة دليلٌ على إخلاص الإنسان وعلامةٌ جليةٌ على نقاوة سريرة هذا الطالب وأنه فعلاً أراد بتعلمه طلب مرضاة الله ﷻ ،فإذا عمل بعلمه فليبشر بطرح البركة في علمه فإن من أسباب بركة

---

(1)- تهذيب الكمال في أسماء الرجال (14/ 464).

(2)- سير اعلام النبلاء (٤٧٦/ ١٠).

(3)-سير اعلام النبلاء (100/ 6).

(4)- تذكرة الحفاظ للذهبي (1/ 131).

(5)- تاريخ بغداد (9/ 270).

(6)- تاريخ الإسلام (4/ 44).

العلم أو وجود البركة فيه هو عمله بعلمه،فبالعمل بالعلم يسلم من مشابهة المغضوب عليهم الذين والعياذ بالله تركوا العمل بما يعلمون.

ونعني بالعمل بالعلم أيها الإخوة إذا قلنا هنا قيدٌ هام لا بد منه وهو أن يكون هذا العمل مقيد باتباع السنة وتحري هدي النبي ﷺ فيه، سواءً كان هذا العمل متعلقًا بباب الاعتقاد، متعلقًا بباب العبادات، أو بباب المعاملات، أو بباب الأخلاق، أو بباب السلوك ،لابد فيه من مراعاة هدي النبي ﷺ فيه يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا :(فإن مراعاة السنن الشرعية في الأقوال والأعمال في جميع العبادات والعادات هو كمال الصراط المستقيم)[1] وهذه كلمة ذهبية ترسم لنا ما هو المنهج في القيام بالعمل بالعلم، ويقول أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر في الفتاوى في آخره قال:(والذى ينبغى للناس أن يعتادوا اتباع السلف على ما كانوا عليه على عهد رسول الله ﷺ، فإنهم خير القرون، وخير الكلام كلام الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، فلا يعدل أحد عن هدى خير الورى، وهدى خير القرون إلى ما دونه)[2].

ومن فضل الله ﷻ علينا أيها الإخوة في تقرير هذا الأصل أن بيّن الله ﷻ لنا ثماره والمنافع المترتبة عليه، والنتائج الحاصلة للسعي فيه، يقول الله ﷻفي سورة النساء:﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ٦٦ وَإِذًا لَّآتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ٦٧ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ٦٨﴾ [النساء (66-68)] تأملوا هذه الآيات ذكر الله ﷻ فيها أربع ثمرات من ثمار العمل الصالح، من ثمار العمل بالعلم، من ثمار وفوائد إتْباع العلم بالعمل

قال ﷻ:﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ أي ما يأمرون به وما يصلهم ويقع ما يصل إلى آذانهم ويقع في قلوبهم من أوامر الله ﷻ ونواهيه وزواجره ﷻ وتوجيهاته

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ ﴾ما هي الثمرة؟ قال: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ هذا الأمر الأول والفائدة الأولى: حصول الخيرية بالعمل بالعلم،فيصل الإنسان بأن يوصف من الأخيار وهذا يعني أنه قد انتفت عنه صفة الأشرار فلا يكون منهم، ولا يدخل في هذا الصنف والعياذ بالله

---

(1)- مجموع الفتاوى (18/ 287-288).

(2)- مجموع الفتاوى(1/ 376).

إذاً ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ قال ﷻ : ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ وهذا يعني أن من أعظم العون على الثبات على طاعة الله ﷻ وعلى الإستقامة والخير هو العمل بالعلم.

ولاحظوا التعبير القرآني قال: ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ والثبات أيها الإخوة يحصل في كل الأحوال والمراحل التي تمر بالإنسان، ويحصل الثبات على الطاعة، ويحصل الثبات عن الوقوع في المعصية ويحصل الثبات على ما يرد على الإنسان من مصائب، ويحصل الثبات له على ما يرد إليه من شبهات وشهوات، ويحصل الثبات له عند مفارقته الدنيا، ويحصل الثبات له في قبره، كل هذا يحصل كما بين ذلك أهل التفسير.

قال: ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ الثالثة قال:﴿ وَإِذًا لَّآتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا﴾؛يؤتيه الله ﷻمن الأجور،ويثيبه على ما قام به من عمل ولم يبين ﷻ نوع الأجر قال: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾وأطلق

الرابعة قال: ﴿وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ٦٨﴾ هذا تعميمٌ بعد تخصيص يوفق للهداية وسلوك الصراط المستقيم.

إذاً أيها الإخوة يكفي الإنسان في الحقيقة حث على العمل بالعلم، وعلى ما يصل إليه ويسمعه ويتعلمه من أحكام كتاب الله ﷻ، أو سنة النبي ﷺ ،أو يصل إليه ما كان عليه من هدي السلف رحمة الله تعالى عليهم من أخلاقهم، وآدابهم، وحرصهم يكفي أقول هذه الآيات حثًا ودفعًا له على القيام بهذا الأمر.

واذا نظرنا أيها الإخوة في حال سلفنا وتأملنا في واقعهم، نجد أنهم من أشد الناس حرصا على تحقيق هذه الصفة، والسعي للظفر بهذه السمة الشريفة وهي العمل بالعلم وعلى رأسهم صحابة النبي ﷺ يقول ابن مسعود رضي الله عنه :(كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن)[1]. تأملوا لم يكتفوا بمجرد العلم الموجود بها بل أتبعوا ذلك بالعمل.

---

[1]- رواه ابن جرير في تفسيره (1 8)،وقال أحمد شاكر: هذا إسناد صحيح.

يقول سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ :(ما بلغني عن رسول الله ﷺ حديثٌ قط إلا عملت به ولو مرة)[1] وقال الامام احمد رحمه الله :(ما كتبت حديثًا الا وقد عملت به)[2] ، قال وكيع رَحِمَهُ اللَّهُ:(كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به)[3] وهذه فائدة من فوائد العمل بالعلم أنه سبب من أسباب ماذا؟ حفظ العلم وثباته وبقائه (كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به)

ويقول: (ليس العلم بكثرة الرواية وإنما العالم من اتبع العلم واستعمله- أي عمل بعلمه- واقتدى بالسنن وإن كان قليل العلم)[4] ويقول مالك ابن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ:(إن العبد إذا طلب العلم للعمل -لاحظوا حسن الإرادة والقصد- إن العبد إذا طلب العلم للعمل كسره علمه -ما معنى كسره علمه؟ يعني أدى به إلى التواضع وأن يعرف قيمة نفسه وما وزنها وما مقدارها فلا يتعالى على الآخرين ويعلم أن هذا من فضل الله ﷻ وإحسانه وإكرامه له-

إن العبد اذا طلب العلم للعمل كسره علمه وإذا طلبه لغير ذلك إزداد به فجوراً أو فخرًا)[5].

ويقول أبو قلابة رَحِمَهُ اللَّهُ:(إذا أحدث الله لك علمًا فأحدث له عبادة)[6] وهذا من شكر العلم إذا أحدث الله لك علما؛ أعطاك علمًا فأحدث له عبادة، ولا يكن إنما همك أن تُحدث به الناس.

هذه المسألة أيها الإخوة وهذه الصفة صفة عظيمة، وشريفة، وكريمة، وعالية، يحبها الله تبارك وتعالى ولهذا عنَّف ﷻ وشدَّد على من لا يعمل بعلمه قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢﴾ [الصف (2)] وأذلّ الذّين لا يعملون بعلمهم،ووصفهم بالحمار يحمل أسفارًا،ولهذا اعتنى السلف الصالح ببيان هذه الصفة حتى أَلَفُوا فيها المؤلفات، ودونوا فيها الكتب

---

(1)- (السير) (٦٩٦/ ٢).

(2)- سير أعلام النبلاء للذهبي (ج11 ص 214).

(3)- جامع بيان العلم و فضله (1 / رقم 1286 / 709).

(4)- شرح كتاب السنة للبربهاري (ج11/ 10).

(5)- اقتضاء العلم العمل (ص32).

(6)- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (ص283).

كما حصل ذلك من الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ حيث ألف كتابا سماه "اقتضاء العلم العمل" وهو مطبوع تحقيق الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ وغفر له

السمة الثالثة أيها الإخوة من السمات المهمة التي يجدر بنا أن نعتني بها كذلك والتي حصل فيها الخلل ووقع فيها التقصير:

الفرار أيها الإخوة من الفتن والهروب منها: وأعني بذلك الفتن بنوعيها أيها الإخوة فتن الشهوات وفتن الشبهات ،ومجانبة العبد للفتن وابتعاده عنها وهروبه منها دليلٌ على سعادته وأمارةٌ بينةٌ على إرادة الله ﷻ الخير به يقول ﷺ:« إن السعيد لمن جنب الفتن إن السعيد لمن جنب الفتن إن السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلي فصبر؛ فَواهًا»[1] فنلاحظ في هذا الحديث أنه ﷺ يذكر من علامات سعادة العبد أن يُجنب الفتن، وأن يُحفظ منها، و هنا أمرٌ لا بد أن يراعيه الإنسان حتى يسلم من الفتن وهذا الأمر هو سلوكه للوسائل الشرعية، وعنايته بالطرق التي تحفظه من الفتن سواء أُبتلي بها أم لم يُبتلى.

أُولى الأمرين هو: أن العبد إذا أُبتلي بالفتنة أو وقع فيها عليه أن يصمد أمامها، وأن يسعى لردها، و أن لا يستسلم لها بل يسعى للسلامة منها ما أمكن والدليل على هذا أيها الإخوة ما رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله يقول:« تُعْرَضُ الفِتَنُ علَى القُلُوبِ عرض الْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ سَوْداءُ، وأَيُّ قَلْبٍ أنْكَرَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بَيْضاءُ، حتَّى تَصِيرَ علَى قَلْبَيْنِ، علَى أبْيَضَ مِثْلِ الصَّفا فلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دامَتِ السَّمَواتُ والأرْضُ، والآخَرُ أسْوَدُ مُرْبادًّا كالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إلَّا ما أُشْرِبَ مِن هَواهُ »[2]

هذا الحديث أيها الإخوة حديث عظيم يدلنا على هذه الوسيلة الشرعية التي تقدم ذكرها

---

(1)- صحيح أبي داود (4263).

(2)- مسلم (144).

تأملوا الحديث يقول ﷺ :« تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير عوداً عودا» أرأيتم هذا الحصير الآن أو الذي يعني يعمل من خوص النخل كيف أنها متوالية، ومتتابعة هكذا الفتن أيها الإخوة تعرض على القلوب تكون متوالية ومتتابعة تعرض على القلوب كعرض الحصير فلا تتأخر عن بعضها البعض بسبب توالها، تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير عودًا عودًا هنا يأتي الموقف بعد ذلك من هذه الفتن سواءً الشبهات، أو الشهوات من الناس من ينكرها ويردها ولا يستسلم لها بل يصمد أمامها، ومنهم من يتقبلها ويستسيغها فتحل بقلبه والعياذ بالله فينتكس

قال ﷺ :« فأي قلبٍ اشربها»؛ يعني حلت فيه ونزلت وتقبلها واستساغها« فأي قلبٍ أشربها نكتت -أي نقطت- نكتت في قلبه نكتةٌ سوداء وأي قلبٍ أنكرها نكتت في قلبه نكتةٌ إيش؟ بيضاء ما هي النتيجة؟ قال: حتى تصير القلوب على قلبين القلب الذي أنكرها ما هي صفته؟ والقلب الذي تقبلها ما هي صفته؟ قال حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا هذا قلب المؤمن قلب المسلم الذي قد أنكر هذه الفتنة وردّها ولم يتقبلها على أبيض مثل الصفا بسبب نور الله ﷻ الذي ألقاه في قلب عبده على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة.

تأملوا هذا الضمان النبوي فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر والعياذ بالله الذي قبل الفتنة وتبعها وسلك أسبابها قال: والآخر أسود مُربادًا المرباد اللون الذي بين الغُبْرة و الإسوداد مُربادًا كالكوز مُجخيًا معروف ماهوالكوز؟ مُجخيًا مائلاً والعياذ بالله إذا حصل الإنتكاسة والإنتكاسة والعياذ بالله عن طريق الله ﷻ بسبب هذه الفتنة ما هي النتيجة؟ أخبر ﷺ: «كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا و لا ينكر منكرا » تشتبه عليه الأمور وتختلط عليه الثوابت وتلتبس عليه الأشياء حتى الحقائق لا يستطيع أن ينكرها بسبب والعياذ بالله تمكن الفتنة من قلبه .

قال ﷺ: «لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه»؛ وهذا يعني أنه يقدم هواه على رضا الله تبارك وتعالى.

هذا الأمر الأول أيها الإخوة.

الأمر الثاني: الدعاء واللجوء إلى الله تبارك وتعالى والقيام بالأعمال الصالحة، فإن للأعمال الصالحة والتضرع إلى الله أثراً بالغـًا في حفظ المرء من الفتنة أيًا كانت هذه الفتنة فتنة شهوات، أو فتنة شبهات يقول ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه: « تعوذوا من الفتن ما ظهر منها وما بطن»[1].

تعوذوا الجأوا إلى الله اعتصموا به ﷻ.

« تعوذوا من الفتن ما ظهر منها وما بطن»؛ "ما ظهر منها" ما هو جليّ من فتنة النساء، وفتنة الأموال..إلخ "وما بطن" مما يقع من الأعمال القلبية التي لا يسلم منها إلا من حفظه الله ﷻ

تعوذوا من الفتن ما ظهر منها وما بطن وقال ﷺ مُعلمـًا أحد أصحابه:« قل اللهمَّ قني شرَّ نفسي واعزم لي على أرشد أمري »[2].

:« اللهمَّ قني شرَّ نفسي » فالنفس فيها شرور وتميل إلى ما حرم الله ﷻ، « قل اللهمَّ قني شرَّ نفسي واعزم لي على أرشد أمري» على الأمور الراشدة؛ أمور الطاعة والخير والإستقامة،وقال ﷺ معلمنا أن ندعوا: « اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر لساني ومن شر منيِّي»[3] وهذا إشارة إلى فتنة؛ الإفتتان بفتنة النساء والعياذ بالله، والفروج وأعوذ بك من شر منيِّي هكذا يعلمنا ﷺ أن نقول.

قال ﷺ:« بادروا بالأعمال فتنـًا » هذا توجيه إلى العمل الصالح واغتنام الأوقات والفرص بالأعمال الصالحة قبل أن تحل الفتن فلا يستطيع الإنسان التمكن من عملٍ صالح .

« بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافراً أو يمسي كافراً ويصبح مؤمنًا يبيع دينه بعرض من الدنيا»[4] يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ موضحـًا هذين الأمرين قال:(وإنما تنفى الفتنة بالاستغفار من الذنوب و العمل الصالح)[5] وإنما تنفى الفتنة

---

(1)- مسلم (2867).

(2)- مجمع الزوائد (184/ 10).

(3)- سنن الترمذي(3492).

(4)- مسلم (118).

(5)- مجموع الفتاوى (44/ 15).

بالاستغفار من الذنوب وهذا بالدعاء واللجوء إلى الله ﷻ والتوبة، والعمل الصالح بهذا يسلم المرء من الفتن.

لما وقعت فتنة ابن الأشعث المعروفة المشهورة قال طلق ابن حبيب:(«اتَّقُوهَا بِالتَّقْوَى»، – اتقوا هذه الفتنة فتنة الخروج اتقوها بالتقوى– فَقِيلَ لَهُ: «صِفْ لَنَا التَّقْوَى»، فَقَالَ: «العَمَلُ بِطَاعَةِ اللهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ، رَجَاءَ ثَوَابِ اللهِ، وَتَرْكِ مَعَاصِي اللهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ، مَخَافَةَ عَذَابِ اللهِ –تأملوا العمل بطاعة الله على نورٍ من الله على علم وبينة وبصيرة رجاء ثواب الله وهو الإخلاص ثم قال–: وَتَرْكِ مَعَاصِي اللهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ، مَخَافَةَ عَذَابِ اللهِ». قَالَ الذَّهَبِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ– لما ذكر هذا الأثر في السير معلقًا عليه قال: «قلتُ –الذهبي–: أَبْدَعَ وَأَوْجَزَ، فَلاَ تَقْوَى إِلاَّ بِعَمَلٍ، وَلاَ عَمَلَ إِلاَّ بِتَرَوٍّ مِنَ العِلْمِ وَالاِتِّبَاعِ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالإِخْلاَصِ للهِ، لاَ لِيُقَالَ فُلاَنٌ تَارِكٌ لِلْمَعَاصِي بِنُورِ الفِقْهِ، إِذِ المَعَاصِي يَفْتَقِرُ اجْتِنَابُهَا إِلَى مَعْرِفَتِهَا، وَيَكُونُ التَّرْكُ خَوْفًا مِنَ اللهِ، لاَ لِيُمْدَحَ بِتَرْكِهَا، فَمَنْ دَاوَمَ عَلَى هَذِهِ الوَصِيَّةِ فَقَدْ فَازَا»[1] .

هكذا يقول الذهبي فمن داوم على هذه الوصية فقد فاز، وهذه وصية عظيمة بليغة أثنى عليه ابن تيمية والذهبي كما سمعتم وابن القيم في زاد المهاجر المطبوع بعنوان الرسالة التبوكية وغيرهم من أهل العلم وذلك لاحتوائها هذه المعاني العظيمة .

السمة الرابعة أيها الإخوة التي ينبغي أن نتحلى بها خاصةً أيضًا عند نزول الفتن ومحتاجون إليها في كل وقت الحقيقة:

الأنات في الأمور والتروي في اتخاذ القرار وعدم العجلة بذلك وعدم التسرع في شيءٍ من الأشياء وهذه الخصلة أيها الإخوة خصلةٌ حميدة، وصفةٌ طيبة يحبها الله تبارك وتعالى ويحب أن يتحلى عباده بها، ومن تحلى بها فإنه لا يجني إلا خيراً.

(1)- سير أعلام النّبلاء» للذّهبيّ: (4/ 601).

قال ﷺ : « التأني في كل شيءٍ خير إلا في عملٍ الآخرة»[1] ؛ يعني في الأعمال الصالحة التأني في كل شيءٍ خير بلا استثناء إلا في عمل الآخرة ؛لا خير بالتأني في القيام بالأعمال الصالحة.

ومن أيها الإخوة تحلى بهذه الصفة الطيبة حقيقة كما قال ﷺ جنى كل خير فيكون هاديء النفس بأناته، ورويته، يكون مطمئن البال لا يندم، ولا يلحقه حقيقة أسفٌ على ما فعله بعد ذلك لماذا؟ لأن فعله كان عن تروٍ كامل وتؤدة وأناة.

وطالب العلم في الحقيقة إخواني بالذات يحتاج إلى التروي، يحتاج الى الأناة في تحصيله العلم، وتلقيه للمسائل، وتعلمه لها، يحتاج إلى الأناة والتروي والتؤدة في دعوته إلى الله ﷻ والتخطيط السليم للوصول إلى إصلاح الناس بأقرب الطرق خاصةً عند فشوي المنكرات، وانتشار الفواحش، فإن الإنسان ينفعل وتأخذه الحمية فإذا لم يكن سيره مبنياً على التؤدة والتروي في علاج الواقع فإنه والعياذ بالله لا يجني إلا سوءاً .

يحتاج طالب العلم إلى الأناة والتروي والهدوء عند حصول الاختلاف واشتباه الأمور، وتداخل المسائل، خاصةً إن حصلت ووجدت بين أهل العلم وطلابه يحتاج طالب العلم إلى روية كبيرة في التكلم، يحتاج إلى روية كبيرة في الحكم، يحتاج إلى روية كبيرة باتخاذ القرار في الدخول فيها وعدم الدخول.

وهذه الأمور إخواني كلها مستمدة ومأخوذة من وصايا الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم يقول ابن مسعود رضي الله عنه:(إنها ستكون أمورٌ مشتبهات -تلتبس الأمور وتتداخل فلا يتميز الإنسان المحق من المبطل قال ابن مسعود: فعليكم بالتؤدة - هذا هو الحل لا يحشرالإنسان نفسه من بداية حصول المشكلة أو لنزول النازلة فعليكم بالتؤدة فإنك أن تكون تابعاً في الخير خيرٌ من ان تكون رأساً في الشر)[2] ويقول علي رضي الله عنه وأرضاه والأثر صححه الشيخ الألباني في الأدب المفرد قال علي رضي الله عنه :(لا تكونوا عُجُلاً -العجلة معروفة والإنسان طُبع على العجل ﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ﴾

---

(1)- أبو داوود (4812).

(2)- البيهقي في (الشعب)(7/ 297).

[الأنبياء(37)] العجلة مفطور عليها الإنسان يقول علي رضي الله عنه :(لا تكونوا عُجلاً مذاييع -المذاييع معروف هو يعني من إذاعة الشيء ونشره- لا تكونوا عُجلاً مَذَاييع بُذُرًا ما معنى البُذر؟ البُذر جمع بَذور وهو الذي يفشي الأسرار وينشرها- لا تكونوا عُجلاً مَذَاييع بُذُرًا فإن من ورائكم بلاءً مُبَرحًا -أي شاقًا و شديدًا؛ أي تلقون فِتنًا ومصائبًا وأمورًا تشتبه عليكم وهذا لا شك من البلاء- فإن من ورائكم بلاءً مُبَرحًا مُكلِحًا و أمورًا مُتمَاحِلةً رُدُحًا)[1] إيش يعني؟ يعني فتن ثقيلة عظيمة هذا معنى هذا الكلام

تأملوا هذا الأثر أيها الإخوة نجد أنه في الحقيقة اشتمل على توجيهٍ يضمن للأمر السلامة من الفتن وذلك أولاً: بالتحلي بالتأني والروية وسلوك سبيل التؤدة بها ثم أيضًا توجيهٌ آخر بالصمت ولزوم السكوت

قال رضي الله عنه:(لا تكونوا عُجلا مذاييع ثم قال بُذرا) هذه اللفظة تشير إلى لزوم السكوت وعدم العجلة في الكلام يقول ﷺ:« من صمت نجا»[2]

فهذا أيها الإخوة أو هذه الآثار وهي كثيرة تدلنا على تعقل، على وجود تعقل الإنسان في حصول النوازل، ووجود المشاكل، واضطراب الآراء وتصادمها، فلا يتعجل الإنسان ولا يتقدم بين أيدي أهل العلم، إنما يرد الأمر إلى أهل العلم الراسخين الذين بهم يَنحل الإشكال ويرتفع الخلاف بحول الله عز وجل

ومن السمات أيضًا العظيمة التي ينبغي أن يتحلى بها الإنسان واختم بها الدرس:

المواصلة والاستمرار في طلب العلم والمداومة عليه: فهذه من الأمور المهمة ونجد في الحقيقة في واقع كثير من الشباب في بداية طريقه الاستقامة يحرص على طلب العلم ويكون متحمسًا متتبعًا للدروس والحلقات حريصًا على سماع الأشرطة، لكن سرعان ما يزول هذا الحماس وينطفئ لماذا؟ لا بد أيها الإخوة أن تكون هناك أسباب ينبغي على الإنسان أن يتنبه لها ما

---

(1)- صحيح الأدب المفرد (ص250).

(2)- سنن الترمذي(2510).

هو الخلل الذي بسببه تركت طلب العلم؟ هل هناك خلل في القصد؟ هل هناك خلل في المنهجية والتلقي؟ لابد أن يراجع الإنسان نفسه بهذه الأمور.

والاستمرار على طلب العلم من أهم المهمات، وأوجب الواجبات خاصةً في هذا الزمان الذي أحوج ما تكون الأمة فيه إلى طلبة العلم الجادين وإلى العلماء العاملين، وإلى الرجال المصلحين الذين بهم يتغير الواقع على منهاج النبوة منهاج النبي ﷺ وصحابته، ولا سبيل إلى تغيير واقع الناس وإصلاحهم إلا بهذا السبيل وتحقيق هذا الأصل السير في الدعوة إلى الله كما كان ﷺ وأصحابه والسلف الصالح من بعدهم

هذا الأمر أيها الإخوة مهم جدًا، أعني العناية بالاستمرار على طلب العلم، وتقوية العزيمة ورفع الهمة في ذلك لأن الإنسان أيها الإخوة نلمس هذا من واقع كثير من الشباب يلمس من نفسه عدم الفائدة يقول: أنا طلبت العلم من فترة كبيرة ما أجد أني مستفيد هكذا يقول وسمعناه إذاً لابد أنه ضيع نفسه، ما هي أسباب عدم الشعور بالفائدة؟ لا بد هناك خلل، الخلل ليس في العلم؛ العلم وحي؛ كتاب الله سنة رسوله ﷺ لا يخترق الخلل إليهما أبداً ،الخلل في المتلقي إما أيها الأخ الكريم نقول قد لا تظهر في بداية الأمر يعني آمارات الفائدة أو الإستفادة كما يقول، لكن هذا لا يعني أن الإنسان ينقطع إذا شعر بعدم الفائدة ينبغي أن يتحمل ويسلك الطريق الذي تتناسب معه حتى يظفر بالفائدة، ثم لا يخفى أن الأجر ثابت، والثواب حاصل بالاستمرار على طلب العلم ويكفي الإنسان فخراً وخيراً أن الملائكة تحفه بحضور حلقات العلم، فهذا الأمر لا بد أن نتنبه إليه وأن نتفطن له.

أسأل الله ﷻ أن يبصرني وإياكم بدينه وأن يجعلني وإياكم من المتناصحين فيه السائرين على درب نبيه ﷺ إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين.

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة, يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 تويتر Twitter 】

https://twitter.com/BaynoonaNet

② 【 تيليجرام Telegram 】

https://telegram.me/baynoonanet

③ 【 فيسبوك Facebook 】

https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

④ 【 انستقرام Instagram 】

https://instagram.com/baynoonanet

⑤ 【 واتساب WhatsApp 】

احفظ الرقم التالي في هاتفك

☏ https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191

أرسل كلمة "اشتراك"

تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك

((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

⑥ 【 تطبيق الإذاعة 】

لأجهزة الأيفون

https://appsto.re/sa/gpi5eb.i

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/nJrA9j

⑦ 【 يوتيوب Youtube 】

https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

⑧ 【 تمبلر Tumblr 】

https://baynoonanet.tumblr.com/

⑨ 【 بلوجر Blogger 】

https://baynoonanet.blogspot.com/

⑩ 【 فليكر Flickr 】

https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

⑪ 【 لعبة كنوز العلم 】

لأجهزة الأيفون

https://goo.gl/Q8M7A8

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/vHJbem

【 في كي Vk 】

https://vk.com/baynoonanet

【 Linkedin لينكدان 】
https://www.linkedin.com/in/669392171-شبكة-بينونة-للعلوم-الشرعية
【 Reddit ريديت 】
https://www.reddit.com/user/Baynoonanet
【 chaino تشينو 】
https://www.chaino.com/profile?id=5ba33e0c772b23d5bb7daf0a
【 Pinterest بنترست 】
https://www.pinterest.com/baynoonanet/
【 Snapcha سناب شات 】
https://www.snapchat.com/add/baynoonanet
【 تطبيق المكتبة 】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/33uUnQr
لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/WNbvqL
【 تطبيق الموقع 】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/2Zvk8OS
لأجهزة الأندرويد
https://bit.ly/3fFoxWe
【 البريد الإلكتروني 】
info@baynoona.net
【 الموقع الرسمي 】
http://www.baynoona.net/ar/

حقوق الطبع محفوظة

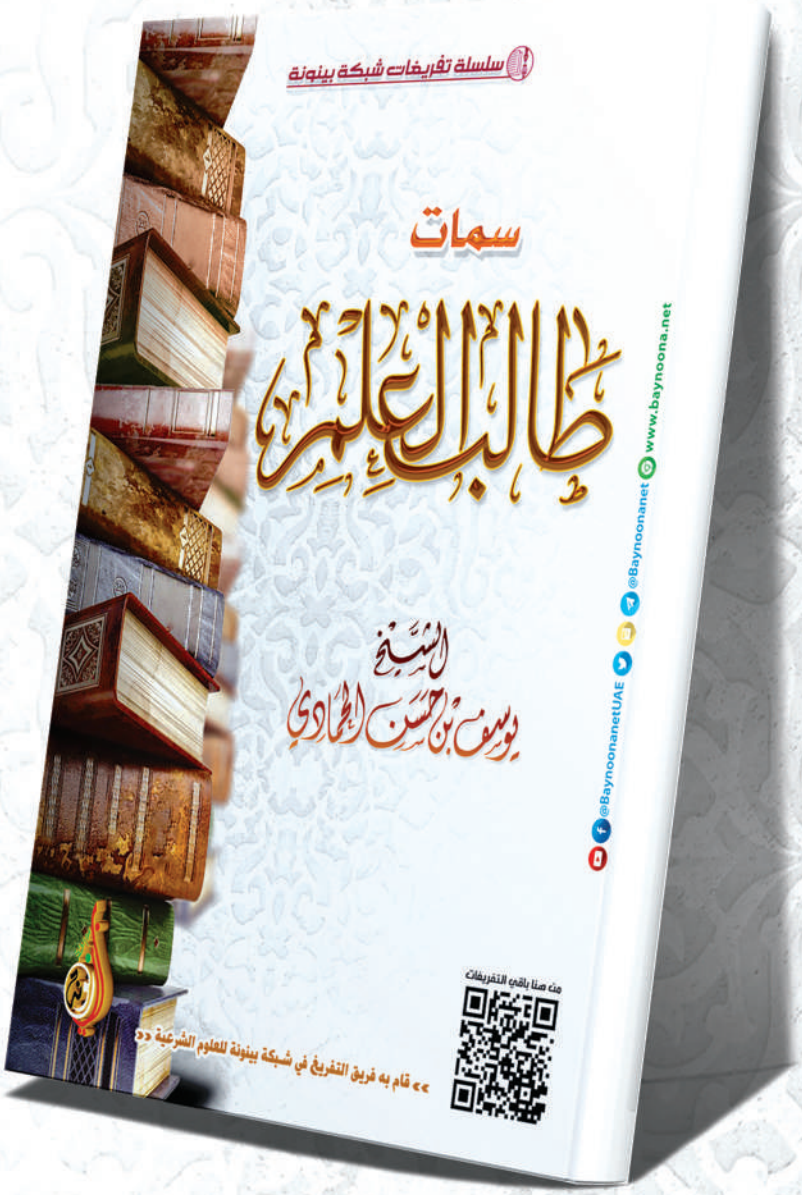

شبكة بينونة للعلوم الشرعية